قصة القوة الجوية الاسرائيلية

M. Rubinstein and R. Goldman,
The Israeli Air Force Story,
London: Arms and Armar Press,
1979.

نعود الى هذا الكتاب رغم مرور أكثر من عامين على ظهوره؛ وذلك لسببين: أولهما أهمية الموضوع، وثانيهما ترجمة الكتاب الى اللغة العربية (صدر عن دار الأندلس في بيروت عام ١٩٨١، تحت عنوان: **قصة القوة الجوية الاسرائيلية**). لقد اعتدنا صدور كتابات دعاوية عن اسرائيل أو عن قواتها وعظمتها العسكرية، كما اعتدنا صدور هذه الكتابات في الغرب، وليس عن دوائر الاعلام الرسمية او دور النشر الاسرائيلية فحسب. الا ان ما يثير الاستغراب هو ظهور مثل هذا الكتاب، «قصة القوة الجوية الاسرائيلية»، في لندن عام ١٩٧٩؛ اذ كنا نتوقع ان الغرب قد تجاوز الكثير من الخرافات التي تجاوزها الاسرائيليون أنفسهم، وبخاصة في نهاية السبعينات، بعد انكشاف أمور سياسية وعسكرية عديدة خلال حرب تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣، واثر الاعتراف العالمي المتزايد بعدالة الموقف العربي عموماً والفلسطيني خصوصاً. بل ان ما يزيد من دهشة القارىء هو صدور هذا الكتاب عن دار نشر انكليزية «آرمز أند آرمور بريس»، التي تعرف بأنها تنشر كتابات عسكرية جدية ورصينة ومفيدة. ان أوضح دليل على انقلاب الموقف بين الكتابة العسكرية المفيدة وبين الكتابة الدعاوية الرخيصة، بل والركيكة أدبياً، يتجلى تماماً بعد التذكير بأن دار النشر ذاتها نشرت أيضاً كتاب: «على ضفاف قناة السويس» للقائد العسكري الاسرائيلي أدان؛ حيث قدم هذا الأخير سرداً مفصلاً شيقاً لسير القتال في منطقة قناة السويس خلال حرب تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣.

يعالج الكتاب الذي نحن بصدده، او يدعي معالجة، قصة نشوء سلاح الجو الاسرائيلي وتطوره. ويقوم المؤلفان بتقديم عرض ناقص ومشوه لتلك القصة، الى جانب ادراج المواقف الشخصية المفضوحة المؤيدة لاسرائيل داخل النص. فيتتبع المؤلفان عملية حصول العصابات الصهيونية على أولى طائراتها، وانشاء سلاح الجو الاسرائيلي عام ١٩٤٨، ومن ثم تطوره ومشاركته القتالية في الحروب العربية ــ الاسرائيلية في الأعوام: ١٩٥٦ و١٩٦٧ و١٩٧٣. وسنحاول، في مايلي، اظهار العيوب، بل والافتراءات المقصودة في هذا الكتاب:

١ ــ اذا كان عنوان الكتاب وموضوعه هو «قصة» سلاح الجو الاسرائيلي فلا يجب ان يسمح ذلك للمؤلفين بأن يقدما سرداً قصصياً روائياً يجمع عدداً من الروايات الشخصية والملاحم البطولية لطيارين محددين او طائرات معينة. اذ غاب عنصر الربط والتحليل كلياً عن النص، فيما أشبع بالروايات والخرافات وباطلاق الأحكام القيمية المطلقة.

٢ ــ غاب عن الكتاب طرح الصورة الشاملة والاجمالية لواقع سلاح الجو الاسرائيلي وتطوره؛ اذ لايكفي القول ان طائرة معينة دخلت الخدمة